

العمق
الروحي
في
لحن

بيك
إثرونوس
Πεκθρονος

إعداد
الراهب القمص
زكريا السرياني

مراجعة
شيافة الأنبا متاوس
أسقف ورئيس دير السريان

Graphics: Atef Gorgy



لحن
« بيك إثرونوس »
Πεκθρονος

هو قدس أقداس
ألحان الكنيسة
القطبية ، لأن نغمات
اللحن تشبه نغمات
سالم روحاني ، يصل بين
الأرض والسما ، يصعد عليها المرنم
إلى أن يقف أمام عرش الله .
وإذا لم يستطع أن يصف ما راه
بكلمات بشرية ، يجد نفسه يعبر عنها
بنغمات وهزات هذا اللحن الجميل .

TP
للناشر برنس للطباعة
في 1783974-0

أولاً روحانية اللحن النبطي

اللحن هو مجموعة أنغام متوافقة معاً، تُعبّر عن مشاعر وأحاسيس معينة، وهي بذلك تكشف عن المشاعر الداخلية للإنسان، سواء كانت حبا وفرحاً، أو حزناً وألماً.

يسمو عن أن يُصاغ في كلمات مكتوبة وهو أو منطوقة. ولأول وهلة يتبادر إلى ذهننا سؤال وهو، ما هي لغة الملائكة والطغمت السمائية عامة؟! ويتبعه سؤال آخر، وما هي لغة الطيور والحيوانات والطبيعة كلها كالشمس والقمر والنجوم والجبال والهواء...؟!

إننا لا نستطيع أن نجزم أن هناك لغة خاصة لكل مجموعة من هذه المخلوقات، تُمجد بها الخالق. وإلا فأى لغة كانت تتكلم بها الطغمت السمائية وهي أرواح نورانية؟! إنما يمكن أن يكون اللحن هو اللغة التي تُعبّر بها هذه الأرواح عن تسييحها للخالق. ولذلك يُعرّف البعض اللحن بأنه " لغة عالم الروح " .

{ ١ }

والطبيعة الجامدة كلها أيضاً تسبح الخالق في أنغام متوافقة. كما ذُكرَ في تنمة سفر دانيال الإصحاح الثالث وهو الذي نصليه في التسبحة اليومية؛ (الهوس الثالث).

وعلى ذلك فما رآه وسمعه القديس يوحنا الحبيب في جزيرة بطمس (رؤ ٤ : ٨)، وكذا غيره من الأنبياء كحزقيال (حز ١) وإشعيا (إش ٦)، وما رتلت به الطغمت السمائية وعبر عنه الوحي الإلهي بكلمات مثل "قدوس" أو غيره من كلمات تمجيد وتسييح لله إنما هو أنغام متوافقة معاً صاغها الوحي الإلهي في كلمات حتى يفهمها البشر.

ويؤيد ذلك أيضاً ما نراه في الكنيسة وقت ترديد الشعب لحناً جميلاً أياً كان. ويلفت أنظارنا طفلاً رضيعاً تحمله أمه، يُخرج هو أيضاً من فمه أنغام صادرة من قلبه لا يفهمها ولا يحس بها أحد ممن حوله، ولكن مما لا يدعو إلى الشك أو التجاهل، فهي أنغام خرجت من الطفل تُعبّر عن مشاعر داخله نتيجة لتأثره باللحن الذي سمعه، استطاع من خلال هذه الأنغام الخارجة

{ ٢ }

منه أن يُعبّر عن أحاسيسه وانفعالاته الداخلية، بينما عبر عنها الشعب بأنغام وكلمات التسييح. وغالباً ما يكون تعبير الطفل في هذه الحالة أصدق وأعمق من تعبير الرجل الكبير.

الموسيقية وإن كانت تعطى أنغاماً
والآلات دقيقة وموزونة، تُشَنَّف بها الآذان وتنتعش بها النفوس والأرواح، إلا أن الألحان في الكنيسة القبطية التي تخرج من أصوات المرتلين، لهى أعظم بكثير مما تخرجه هذه الآلات من أنغام. وترجع عظمة وأصالة الألحان التي تخرج من أصوات المرتلين إلى التعبير الصادق والأمين الذي تنبض به قلوبهم، ويخرج من خلال الأحبال الصوتية الطبيعية في الإنسان. ولذلك قد تسمع لحناً من شخص ذي صوت غير شجي، ومع هذا تشعر بروحانية الألحان وبصدق تعبيرها لأنها تخرج من عمق القلب، ومع ذلك فلا خلاف على أن نغمات اللحن، التي تخرج من شخص ذي صوت رخم وأداء رائع دقيق، تكون

{ ٣ }

أكثر تأثيراً على سامعيها فيشعرون بروحانيتها وجمالها وبصدق تعبيرها.

(فحينما حضر الموسيقى العالمي الأستاذ نيولاند سميث إلى مصر، بدعوة من المنتيح الأستاذ الفنان راغب حبشي مفتاح، في بداية القرن العشرين واستمع للألحان القبطية وسجلها على النوتة الموسيقية، اندهش من عمق الألحان، وأبدى ملاحظات غاية الأهمية بخصوص التجانس الصوتي وتمييزه عن جميع ألحان الكنائس الأخرى في العالم، وعدم خضوعه للضبط الموسيقى الآلي. فالملحن في تأليفه كان لا يرتبط بأصول وأوزان وقواعد موسيقية، بل كان مرتبطاً بمعنى اللحن الروحي يُصوره بإحساسه، وما على الهزات الصوتية إلا أن تخضع للإحساس الروحي لتُعبّر عن المعنى كما تُعبّر كلمات الصلاة عن مشاعر القلب. ولذلك فإننا نجد اللحن القبطي لا يحتاج إلى آلات موسيقية لإظهاره بهياً، بل إن نغماته المحمولة في هزاته لها أكبر قوة في التأثير في النفس البشرية بدون مساعدة أي آلة موسيقية.

{ ٤ }

وقد وُجدَ أن الموسيقى القبطية - وخصوصاً اللحن الحزائني - تُحرر الإنسان من مشاعر الإحباط والحزن، كما أنها تساهم في ضبط الجهاز العصبي، كما إنها تساعد في خفض ضغط الدم، وتساعد في تحسين معدل ضربات القلب، وتعطي الجسم المقدرة على الاسترخاء والنوم (١).

وللمهندس جورج كيرلس رأى آخر (٢)، على تعليق الموسيقى العالمي الأستاذ نيولاند سميث في أن الألحان القبطية لا تخضع للضبط الموسيقي الآلي. ولكننا نريد أن نوازن بين الرأيين، فنقول أن الملحن في تأليفه كان مرتبطاً أولاً بالمعنى الروحي، يصوره بإحساسه ومشاعره، وبعد ذلك يُخضع هذه الأحاسيس والمشاعر، للهبزات الصوتية الخارجة من الحنجرة، أي للضبط على الحنجرة، والتي تُعد أعظم آلة موسيقية أوجدها الله في الإنسان، بل إن أداء اللحن

(١) الأساس في خدمة الشماس ص ١ للشماس ألبير جمال.

(٢) الألحان القبطية روحانيتها وموسيقاها، للمهندس جورج كيرلس ص ١٣٥ - ١٤٠.

{ ٥ }

بالحنجرة، هو أكبر برهان على خضوع اللحن القبطي للضبط الموسيقي.

ويقول الدكتور راغب مفتاح (١) "أجمل آلة موسيقية خلقت في الإنسان هي الحنجرة، ولذلك استعمل الإنسان الموسيقى الصوتية منذ وجوده على الأرض ولا غنى له عنها من أول ميلاده".

أبعاد اللحن

والألحان التي ينبض بها القلب، وتخرج من خلال الأحبال الصوتية، لها ثلاثة أبعاد:

البعد الأول:

وهو يخص الله، إذ تتصاعد النغمات من قلب مملوء بالفرح والشكر أمام عرش الله، فيتسّمها الله رائحة رضا عن الشخص المرتل وعن العالم أجمع. وقد تتصاعد النغمات من قلب مملوء بالمرارة والألم أمام عرش الله، فيقبلها ذبيحة حب حية. وفي كلتا الحالتين يقبلها الله من المرتل.

(١) مجلة مدارس الأحد السنة الثالثة عشر العدان ٤، ٥ (إبريل ومايو ١٩٥٩م) مقال للدكتور راغب مفتاح.

{ ٦ }

القلب يصل إلى القلب، وما يخرج من الفم يصل إلى الأذن فقط. وهذا ما يلمسه كل إنسان يسمع لحناً من شخص روحاني يرتل هزات اللحن بروحانية عالية من قلبه. فكل من يسمع اللحن ينحذب إلى سماعه ويتأثر به والعكس صحيح.

الأداء الجماعي

التي يرتلها خورس من الشمامسة والألحان أو من الشعب تكون مفعمة بالروحانية. ويكون تأثيرها قوياً على السامع والمرتل، لما فيها من روحانية وجمال في الصوت والأداء. عما لو رتلها شخص واحد فقط بصوت رخيم وأداء موزون. ويرجع ذلك إلى أن اللحن الجماعي هو عزف جماعي بصوت كل فرد. وهو يشبه اللحن الذي تعزفه أوركسترا مكوّنة من مجموعة كبيرة من الآلات الموسيقية المختلفة. فصوت كل شخص في الخورس له نغمة ونبرة تختلف عن الآخرين في الخورس. هذا بالإضافة إلى الروحانية التي يرتل بها كل شخص

{ ٨ }

البعد الثاني:

وهو يخص الشخص ذاته الذي قام بأداء اللحن، وينتج عن أداء اللحن فرح وسلام داخلي عميق، نتيجة للعمل الإلهي داخل قلب المرتل. فسرعان ما ينعكس تأثير اللحن الذي صعد أمام عرش الله. إذ يسكب الله من روحه القدوس في قلب المرتل، فيشعر بفرح وسلام إلهي يفوق كل عقل.

هذا بالإضافة إلى العامل النفسي لمرتل اللحن. فمشاعر الفرح أو الحزن المكبوتة داخل النفس، والتي لم يستطع المرتل أن يعلنها لأحد، استطاع من خلال أدائه للحن أن يخرج هذه المشاعر بصدق وأمانة، بل وبتعبير حقيقي لم يكن في إمكانه أن يصيغه في كلمات عاجزة عن أن تُعبّر عن مشاعره وأحاسيسه الداخلية لو أعلنت لصديق أو زميل ما.

البعد الثالث:

وهو يخص الذين يسمعون اللحن ويتذوّقونه. إذ يكون له تأثير على قلوبهم وحياتهم الداخلية، فيشعرون بالفرح والسعادة والعزاء الروحاني. لأن ما يخرج من

{ ٧ }

اللحن. وينتج عن عزف كل هذه الأصوات لحن جميل روحاني مع دقة في الأداء. ومن هنا ينبغي حفظ الألحان وترديدها معاً كخورس.

وعلى ذلك فالشخص الذي يحفظ الألحان ويؤديها بعمق وروحانية يصبح شخصاً روحانياً، يعيش أيام السماء على الأرض، ويتذوق الحياة الأبدية وهو ما زال على الأرض.

ثانياً: لحن بيك إثرونوس Πεκθρονος

✠ لحن " بيك إثرونوس " هو سيمفونية رائعة تحكي نغماته قصة حب بين النفس البشرية كعروس مسبية تحت قبضة إبليس، والسيد المسيح كعريس لها يذهب ليحررها منه. والنفس البشرية هنا ترى عريسها يخطو في حب نحو الصليب، ليواجه في صراع مرير قُوى الشر الممثلة في إبليس وجنوده، إلى أن سحقه وانتصر عليه، وحررها من يده، وجلس على عرشه ملكاً لها وعليها.

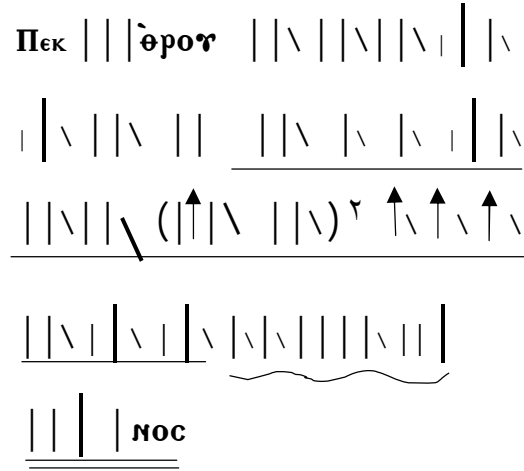
والنفس البشرية هنا تنظر السيد المسيح على الصليب، " خروف قائم كأنه مذبوح وحول

عرشه الحيوانات الأربعة، والأربعة وعشرون قسيساً (رؤ ٥ : ٦)، " ونظرت وسمعت صوت ملائكة كثيرين حول العرش والحيوانات والشيوخ وكان عددهم ربوات ربوات وألوف ألوف " (رؤ ٥ : ١٣)، " ونظرت وإذا جمع كثير لم يستطع أحد أن يعده، من كل الأمم والقبائل والشعوب والألسنة، واقفون أمام العرش وأمام الخروف، متسرلين بثياب بيض، وفي أيديهم سعف النخل " (رؤ ٧ : ٩).
" وهم يصرخون بصوت عظيم قائلين: الخلاص لإلهنا الجالس على العرش وللخروف " (رؤ ٧ : ١٠).

وحينما تنظر النفس البشرية كل هذا الجمع، وتسمع أصوات تسييحهم، لا تستطيع أن تُعبّر عن حبها للجالس على العرش إلا بمشاركتها لهم بنغمات جميلة قائلة لحن " بيك إثرونوس ".

✠ ويرى البعض أن لحن " بيك إثرونوس " هو قدس أقدس ألحان الكنيسة القبطية، لأن نغمات اللحن تشبه درجات سلم روحاني، يصل بين الأرض

(١) بيك إثرونوس Πεκῑροϥνος
عرشك



✠ نغمات اللحن في بيك إثرونوس في حرف
" ⲟϣ " وكأن الهزات تكشف عن عرش الله
الذي ليس له بداية ولا نهاية. فهو يجلس على
عرشه ويملك على الخليقة كلها منذ الأزل وإلى
الأبد. كما قال إشعيا النبي " الجالس على كرة
الأرض وسكانها " (إش ٤٠ : ٢٢).
✠ نجد في هزات لحن " بيك إثرونوس " مزيجاً من

{ ١٢ }

والسما. يصعد عليها المرتل، إلى أن يقف أمام
عرش الله. وهناك يرى ويسمع أموراً فائقة،
ويقول مع يوحنا الحبيب وبولس الرسول أنه "
سمع كلمات لا ينطق بها ولا يسوغ لإنسان أن
يتكلم بها " (٢ كو ١٢ : ٤). وإذ لم يستطع أن
يصف ما رآه بكلمات بشرية، يجد نفسه يعبر
عنها بنغمات وهزات هذا اللحن الجميل.

✠ ولحن " بيك إثرونوس " مأخوذ من الموسيقى
الفرعونية، حيث أن قدماء المصريين اعتادوا
ترتيبه للتعبير عن حزنهم لفراق الميت، كما هو
واضح من موسيقى النصف الأول من اللحن،
وكذلك عن فرحتهم للاحتفال به في رحلته إلى
مركبة الشمس، التي ستحملة إلى الإله رع حيث
حياة الخلود. وهذا أيضاً واضح في موسيقى
النصف الثاني من اللحن (١).

(١) الأساس في خدمة الشمس ص ٥٥١، ٥٥٢ للشماس
ألبير جمال.

{ ١١ }

✠ ولذا يقال لحن " بيك إثرونوس " في الساعة الحادية عشر من يوم الثلاثاء من البصخة المقدسة، وكأنه يُعلن عن ابتداء طريق الصليب وعمل المسيح الخلاصى. وذلك عندما اتفق يهوذا الخائن يوم الثلاثاء مع رؤساء كهنة اليهود على تسليم السيد المسيح بثلاثين من الفضة (مت ٢٦: ١٤، ١٥).

✠ ويقال أيضاً لحن " بيك إثرونوس " في الساعة الثانية عشر من يوم الجمعة العظيمة، يُعلن عن انتصار السيد المسيح على إبليس، والانتهاى من عمله الخلاصى، فقال " قد أكمل " (يو ١٩ : ٣٠)، وجلسه ملكاً على عرشه الذي هو الصليب، ليتم قول المزمور " الرب قد ملك على خشبة " (مز ٩٦ : ١٠).

تشابه النغمات بين لحن " بيك إثرونوس " ولحن " أفتشينون "

يلاحظ أن النغمات في لحن أفتشينون مشابه تماماً لنغمات اللحن في بيك إثرونوس، رغم التضاد والاختلاف بين معاني كلماتهما. فلحن

{١٥}

" بيك إثرونوس " يتحدث عن الله المنتصر الجالس على عرشه، بينما لحن " أفتشينون " يتحدث عن يهوذا الخائن الذي كلامه أَلين من الدهن وهو نصال (أي مثل السيف).

● ومعنى آخر نقول أن لحن " بيك إثرونوس " يشير إلى الخير، بينما لحن " أفتشينون " يشير إلى الشر، ويبدأ الصراع بين الخير والشر من يوم الثلاثاء البصخة حتى يوم الجمعة العظيمة، ويبدو من الصراع انتصار الشر على الخير خاصة يوم الأربعاء والخميس، حيث يقال فيهما لحن " أفتشينون ". إلا أنه في نهاية الصراع دائماً ينتصر الخير على الشر، وهذا ما حدث في الساعة الثانية عشر من يوم الجمعة العظيمة، إذ انتصر السيد المسيح على إبليس وجنوده بالصليب، لذلك يقال لحن " بيك إثرونوس " كنشيد نُصرة يهتف به كل أولاد الله الذين انتظروا هذا الانتصار.

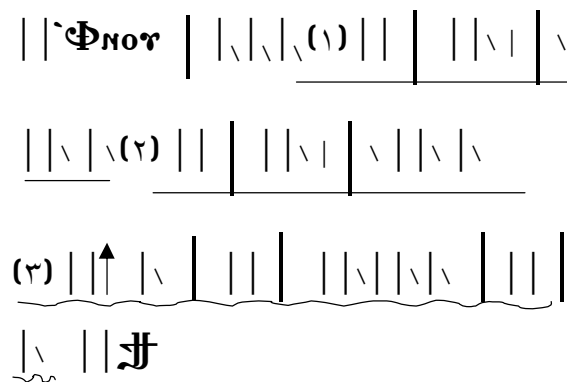
{١٦}

رتبت أن يقال لحن " بيك إثرونوس " في الساعة الثانية عشر من يوم الجمعة العظيمة أي في نهاية اليوم، والتي أيضاً تشير إلى نهاية الحياة أو نهاية الصراع.

● وتتشابه النغمات بين لحن بيك إثرونوس (الخير) ولحن "أفتشينون" (الشر)، فمن خلال تشابه النغمات، ينكشف لنا خداع الشر الذي كثيراً ما يلبس ثوب البر ليأخذ مظهر الحَمَل، أو كما يقول المزمور "كلامه ألين من الدهن وهو نصال". أي أن كلام الشر ناعم كالدهن في الظاهر، ولكنه من الداخل يميت كما يميت السيف.

● كما أن تشابه نغمات لحن "أفتشينون" مع لحن "بيك إثرونوس" تكشف عن قوات الشر التي ظهرت بمظهر القوة والنصرة على عمل السيد المسيح، حتى أنها استطاعت أن تصلب السيد المسيح على الصليب، ولكن كما قال لهم السيد المسيح من قبل "هذه ساعتكم وسلطان الظلمة" (لو ٢٢: ٥٣)، ولكن مهما ظهرت من قوة وانتصار مزيف، ففي النهاية تكون النصر الحقيقية لقوى الخير؛ المثلة في السيد المسيح، وهذا ما أعلنته لنا الكنيسة، إذ

(٢) إِفَنوتى $\Phi\text{no}\tau$
يا الله



✠ نغمات اللحن في $\Phi\text{no}\tau$ إِفَنوتى " ممتزجة بالضعف والقوة معاً. وكأنها طبول تدق لتعلن جلوس الله على عرشه كما إنها تشير إلى السيد المسيح الإله المتجسد، أي تشير إلى اتحاد الطبيعة البشرية بالطبيعة الإلهية، بغير اختلاط ولا امتزاج ولا تغيير.

✠ $\Phi\text{no}\tau$

{ ١٩ }


وكان اللحن هنا يكشف لنا عن أقنوم الابن || إنه هو الله | $\Phi\text{no}\tau$ وهو أحد الأقانيم الثلاثة الآب والابن والروح القدس | | ، فلا نستطيع أن نتعرف على الله، إلا من خلال الابن؛ أى السيد المسيح. كما يقول الكتاب " الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الذي في حضن الآب هو خير " (يو ١ : ١٨)، " الذي رآني فقد رأى الآب " (يو ١٤ : ٩).

✠ $\Phi\text{no}\tau$ | الهزات في إِفَنوتى طويلة، لامتداد ملكوت الله وسلطانه غير المتناهي.

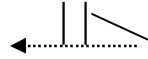
✠ الهزات في كلمة إِفَنوتى في حرف $\text{o}\tau$ وهى تكشف لنا عن ذات الله، الذي لا بداية له ولا نهاية، الأزلي والأبدي. كما كان عرشه أيضاً لا بداية له ولا نهاية $\text{pek}\text{o}\text{ro}\tau$.


✠ الهزات في كلمة إِفَنوتى هي ملخص لمجموعة الهزات الأولى والثانية والثالثة. | $\Phi\text{no}\tau$ |

{ ٢٠ }

❖ ثم تنساب أمام العرش 

❖ وحينما تنظر عظمة وبهاء الجالس على العرش،
تضطرب فترجع قليلاً إلى الخلف ساجدة له



❖ ثم تنسكب في هدوء وسلام وخضوع له . ❖
وهنا ترى النفس البشرية " حول العرش أربعة
حيوانات مملوءة عيوناً من قدام ومن وراء "
(رؤ ٤ : ٦) " وتعطى الحيوانات مجداً وكرامة
وشكراً للجالس على العرش الحيّ إلى أبد الأبدين
" (رؤ ٤ : ٩) . " ويخرج الأربعة والعشرون
قسيماً قدام الجالس على العرش ويسجدون
للحي إلى أبد الأبدين، ويطرحون أكاليههم أمام
العرش قائلين: أنت مستحق أيها الرب، أن تأخذ
المجد والكرامة والقدرة، لأنك أنت خلقت كل
الأشياء، وهي بإرادتك كائنة وخلققت " (رؤ ٤
: ١٠ ، ١١) . " ونظرت وسمعت حول العرش
أيضاً صوت ملائكة كثيرين ... وكان عددهم
ربوات ربوات وألوف ألوف " (رؤ ٥ : ١١) .

{ ٢٤ }

(٣) شا إينيه إنتى بى إينيه

Ⲭⲁ ⲈⲚⲈⲢ ⲛⲧⲉ ⲡⲓ ⲈⲚⲈⲢ

إلى دهر الدهور

❖ نغمات اللحن في Ⲭⲁ ⲈⲚⲈⲢ ⲛⲧⲉ ⲡⲓ ⲈⲚⲈⲢ

(شا إينيه انتى بى إينيه) (إلى دهر الدهور)
وكأنها أمواج البحر الزجاجى شبه البللور الذي
قدام العرش، والخروف القائم كأنه مذبوح (رؤ
٤ : ٦) .

Ⲭⲁ ⲈⲚⲈⲢ | | | \ | | | \ ⲛⲧⲉ | | \

وهنا ترتقي النفس البشرية على هذا البحر،
فترتفع مع ارتفاع الأمواج، وتنخفض وتتقدم
أمام العرش.



❖ وقبل أن تصل إلى العرش تهدأ أو تنخفض



{ ٢٣ }



(٤) أَلِيلُويَا Ἀλληλοῖα

هَلَلُويَا

✠ هَلَلُويَا (Ἀλληλοῖα) (أَلِيلُويَا) تتكون من كلمتين عبرانيتين الأولى " هَلَلُوا " ومعناها احمداوا، والثانية " يا يهو " وهو الاسم العلم لذات الواجب الوجود، ومعناها يكون. وقد ترجمت في الكتاب المقدس بمعنى كيريسوس في اليوناني ومعناها رب، فإذاً يكون معنى " هَلَلُويَا " احمداوا الرب (١).

✠ نغمات اللحن في كلمة الليلويا تحوى فرحاً بالوجود في الحضرة الإلهية، أمام عرش الله والخروف القائم كأنه مذبوح.

(١) كتاب الآلء النفيسة جزء ١ ص ١٩٤

✠ نغمات اللحن في " الليلويا " تبدأ في حرف α وتنتهي بنفس الحرف، وكأن التسييح لله بهذا اللحن الجميل، لا ينتهي أبداً فكلما ابتدأنا نسيح به، ويخيل لنا بعد فترة من التسييح أننا اقتربنا إلى النهاية، نجد أنفسنا وقد بدأنا مرة أخرى في التسييح من جديد، بهذه الأنشودة الجميلة التي لا تنتهي.

✠ كما أن نغمات اللحن في كلمة هَلَلُويَا، تبدأ بحرف α وتنتهي بنفس الحرف، وكأنها تكشف لنا عن الله الذي ليس له بداية ولا نهاية، فالسيد المسيح هو " مبدىء خليقة الله " (رؤ ٣ : ١٤)، وهو " أصل وذرية داود " (رؤ ٢٢ : ١٦)، وهو " بداية كل الأشياء ونهايتها ".

✠ تبدأ نغمات اللحن في كلمة الليلويا بالحرف α في الربع الرابع،



